العراقي الخالد ام الجندي المجهول

د. جلنك باشا العراقي

العراقي الخالد ام الجندي المجهول

د. جلنك باشا العراقي



شركة تراق
كند
آذار 2012

تقيم[1] الدول صروحاً رسمية يضع عليها الزوار الاجانب زهوراً لأغراض بروتكولية و سياسية. هذه الصروح هي تعبير عن جزء من تاريخ تلك الدولة او قيمها او حضارتها, وهي مناسبة لتذكير رؤساء الدول الزائرة بقيم و مبادئ الدولة التي يقومون بزيارتها. يقوم اي رئيس زائر لاي دولة بالتعبير عن احترامه و تقديره للقيم التي يعبر عنها الصرح بوضع الزهور عليه خلال الزيارة الرسمية التي يقوم بها و كجزء بروتكولي من تلك الزيارة. العراق هو واحد من الدول التي لديها صرح الجندي المجهول لهذا الغرض.

واجهت دول الحلفاء بعد الحرب العالمية الاولى والتي كانت بلاد مابين النهرين (العراق لاحقاً) مسرحاً لبعض فصولها, مشكلة. كان المشكلة هي وجود العديد من الجنود الذين لايعرف لهم اسم او منشأ وبهذا لم يكونوا يعلمون ماذا يكتبون على شواهد قبورهم. اتفق المسؤولون على الدفن في بريطانيا و فرنسا حينها على طرح موضوع ايجاد مدفن او قبر خاص لهم, طرحوا المقترح على حكوماتهم وحظى المقترح بالقبول من كل من الملك جورج الخامس ملك بريطانيا, و البرلمان الفرنسي. بهذا تم بناء اول صرحين لهذا الغرض في لندن و باريس سنة 1920 و تم تسميته صرح الجندي المجهول و في السنة التالية تم دفن رفاة احد الجنود المجهولين في كل منها. حذت في تلك السنة اي سنة 1921 كل من الولايات المتحدة الامريكية و البرتغال و ايطاليا حذو تلك الدولتين في ايجاد نصب مشابه في بلدانهم.

تم بناء صروح الجندي المجهول التي توضع اكاليل الزهور عليه في ايام و مناسبات معلومة في العديد من الدول بعد ذلك. حيث يعتبرون الجندي الذي يضحي بنفسه من اجل وطنه اسمى تضحية لابد من تقديرها و تشخيصها. حذا العراق حذو الدول الاخرى في هذا المنحى خصوصاً و انه كان تحت الرعاية البريطانية بعد الحرب العالمية الاولى. بعد استلام الجيش العراقي امور البلاد في ثورة 14 تموز تم تصميم صرح جديد للجندي المجهول في بغداد بتصميم العراقي رفعت الجادرجي, مالبث ان هدمة صدام بعد استلامه الحكم سنة 1979 و اقام صرحاً آخراً للجندي المجهول قرب ساحة الاحتفالات الكبرى ووضع فيه تراب من ساحات المعارك بين العراق و ايران, و مكاناً لستة اضرحة خصص احدها لرفاة مصمم الصرح الفنان العراقي خالد الرحال و مكان الاضرحة الخمس الاخرى خصصها لرؤساء العراق بدأ به[2].

رغم سمو فكرة الجندي او الشخص الوطني الذي يضحي باغلى ما عنده في سبيل وطنه, اي للحفاظ على وطنه و شعبه و تراث ذلك الوطن و اهله ورفع شانهم و مكانتهم بين الشعوب و الامم. لكن فكرة ايجاد صرح للجندي المجهول في العراق بحد ذاتها تحمل الكثير من المعاني الاخرى.

توجد علامة استفهام كبيرة حول مدى وطنية الفكرة. من المعلوم بان الفكرة هي مستوردة, اي انها ليست وليدة العراق او طبيعته او بنات افكاره. وهي رغم سموا اهدافها لا تخلوا من التقليد و لبس ثوب الآخرين, بغض النظر عن مدى انسجامها مع طبيعة و تاريخ العراق و العراقيين.

ان الفكرة ظهرت من قوة اجنبية, لتكريم جنودٍ كانوا, ولو رمزياً الاداة التي ساهمت في وضع العراق تحت الاحتلال الانكليزي (هذا ليس دفاعاً عن الاحتلال العثماني). ان الصرح الذي تم انشاءه اول مرةٍ كان تعبيراً من الامة البريطانية و الفرنسية على تكريم الجنود المجهولين لتلك الدولتين من الذين قام بعضهم اعتبارياً باحتلال العراق. و عندما يقوم العراق بتبني هذه الفكرة و اتخاذ صرح الجندي المجهول كوسيلة بروتكولية, رغم كون الصرح العراقي يكرّم الجنود العراقيين المجهولين, ولكنه يحمل معه معنى التقليد لتكريم الجنود البريطانيين و الفرنسيين المجهولين في الحرب العالمية الاولى.

ان الفكرة تحمل معنى القتل. ان الجندي الذي يتم تكريمه ذهب الى ساحات الوغى لغرض قتل الآخرين. هذه القيمة هي قيمة ممقوتة شعبياً و انسانياً و عدالة و ديناً, بغض النظر عن الهدف او فيما اذا كان الهدف عادلاً او غير عادل. خصوصاً وان المقتول هو ايضاً يخدم امته و شعبه و يدافع عنهم اسوةً بالقاتل. و إن القتل يتم بدون اي محاكمة او قضاء و بشكل بربري. ومما يزيد من الاحراج هو قيام الدول التي تَحارب الجيش العراقي معها في تكريم جنودهم بنفس الطريقة و قيام السياسيين العراقيين بوضع اكاليل الزهور على الضروح التي اقاموها لنفس الغرض.

ان الفكرة محددة بزمن اي ان اعداء الامس يمكن ان يصبحوا اصدقاء اليوم او الغد و اقامة مثل هذه الصروح او البروتكولات حول اضرحة الجنود, تكون دافعاً الى نبش التاريخ و قد تكون سبباً في الحساسية و توتر العلاقات الدبلوماسية كما هو حاصل بين اليابان و

الصين. عند قيام اي رئيس وزراء ياباني جديد بزيارة بناء متحف أثار الحرب اليابانية يقابل ذلك بهجوم عنيف من قبل الصينين, على ارضية ان هذا المتحف يخلد استعمار اليابان للصين.

من المتوقع ان يمتلئ تراث شعب كتب تاريخه لفترة اطول من اي شعب آخر على وجه الارض, باشخاص مشهورين يستحقون التكريم, و بعضهم مجهول. وهم بالتاكيد من نتاج تربة هذا الوطن و من تراثه الذي تفتخر به امام شعوب و امم العالم من امثال تموز و ايلول و آب الذين خلدهم العراقيون في تقويمهم او غيرهم الكثير الذين تستشهد بهم امم الارض مثل كلكامش و حمورابي و غيرهم.

من بين الكثير مما يمتاز به العراقيون عن غيرهم من امم العالم شيئان مميزان. يفتخر العراقيون منذ القدم باعادة بناء وطنهم. كان مفاجأة للعلماء الذين استطاعوا فك رموز الخط السومري ان يكتشفوا, ان اولى الرقم الطينية المكتشفة والتي تتطرق الى الانجازات, يثبت فيها الملوك اعادة بناء الهياكل و الابنية بعد بناءها[3]. ان العراقيين يعيدون بناء ما تهدم من وطنهم منذ اكثر من خمسة آلاف سنة و يفتخرون بذلك.

الامر الثاني هو الحفاظ على تراثهم. منذ القدم يحرص العراقيون على الحفاظ على تاريخهم و تراثهم السابق. اكتشف العلماء بان الرقم الطينية التي كانت مكتوبة باللغة السومرية والتي تتحدث عن تاريخ يمتد الى حوالي ثلاثة الاف و خمسمائة عام قبل الميلاد تعود الى تاريخ حوالي الاف و خمسمائة سنة فقط. حينها كانت اللغة السومرية في حالة اضمحلال و اصبح الاستعمال العام للغة الاكدية اكثر, اي ان الكتابات التي تم اكتشافها و فك رموزها لم تكن بلغة الناس حينئذ. هذا يعني بان كاتب هذه الكتابات فعل ذلك بدافع الحفاظ على تراث امته و الابقاء عليه. حدث نفس الشيء عند قيام الملك الآشوري آشوربانيبال[4] (685-627 ق م) بارسال كُتّاب الى انحاء العراق لاستنساخ و جلب الوثائق النادرة و تصنيفها والاحتفاظ بها في مكتبة خاصة, فيما سميت بعد ذلك بمكتبة آشوربانيبال المشهورة والتي تم اكتشافها من قبل رولنسن الانكليزي و مساعدة هرمز رسام العراقي الاصل.

ان تخليد هذا التراث العراقي الاصيل و الغني و اقامة صرح دبلوماسي له اهم بكثير من اي صرح آخر. خصوصاً ان الرقم الطينية التاريخية التي تم استخراجها من ارض بلاد بين النهرين كشفت عن شخصية غير متوقعة. انه شخص عراقي مجهول دخل التاريخ من اوسع ابوابه. ولعل ذكره الان بعد اكثر من ثلاثة الاف عام من مماته هو مثال حي على ذلك.

انني اخصص هذه الكلمات لشخص محدد متميز خالد, اود ان اذكره هنا امتناناً مني و تعبيراً عن الاعتزاز و التقدير و الاحترام له. شخص عراقي بسيط, لم يكن حاكماً, او مقاتلاً. شخص قام بفعل متميز خاص لشعبه. شخص سيبقى الشعب العراقي و العالم ممتناً له على مدى التاريخ و الزمن. يجوز ان يكون ما قام به ليس بدافع شخصي, اي انه كان مأموراً بذلك ولكن لايوجد ما يدل على ذلك. يجوز ان يكون فعله بدافع الربح او الكسب المادي, ولكن ذلك لا يقلل ابداً من قيمة عمله.

قام مواطن من هذه الارض التي كانت تسمى بلاد مابين النهرين, بكتابة نص على رقم طيني. لعب هذا النص المعروف لدى التاريخيين ب' رُقم تومّال'[5],[6] و المكتوب في نفر (نيبور[7] التاريخية) الواقعة شمال شرق الديوانية. دوراً كبيراً في معرفة اسماء و تسلسل احداث فترة مهمة من التاريخ. لقد قام المؤرخون و المنقبون من انحاء مختلفة من ارجاء العالم, طوال اكثر من مائتي سنة, بالتنقيب في مناطق متعددة من بلاد مابين النهرين[8]. وجدوا الكثير من اللقى و الرقم الطينية. جعلتهم هذه الاكتشافات ياخذون فكرة عن احوال العراق القديم و اكتشاف السومريين و لغتهم و اسماء بعض ملوكهم. لكنهم رغم المحاولات و التفسيرات لم يستطيعوا وضع تسلسل زمني لسلالات الملوك و الاحداث في البلد. وقعت ايديهم على 'رقم تومال', الذي كتبه ذلك العراقي الخالد. كانت وثيقة فريدة من نوعها ببساطتها و وضوحها و مباشرتها تمت ترجمتها و معرفة مضمونها منذ 1914 [9]. للاسف كانت السطور المهمة العشر الاوائل مفقودة. و المفقود في الرقم الطينية لا يمكن اصلاحه او تعويضه لانه يصبح تراباً ليس مثل الكتابة على الورق يمكن بالطرق العلمية كشف الممسوح منها.

تم اكتشاف السطور الاولى في رُقَيمين يكمل احدهم الآخر في مجموعة هلبرخت في جامعة فردريك سجلر الالمانية [10] و تعود لنسخة اخرى من نفس الوثيقة. تم ترجمة مضمونها سنة 1955 و نشرت سنة 1962[11]. ادى ذلك الى وضع النقاط على الحروف و معرفة اسم "اينميبراكاسي 'اين مي بار اكا سي' [12] (2600 ق م) [13] اول ملك معروف الاسم لبلاد مابين النهرين بعد الطوفان وهو من سلالة لكش وقد سبق كلكامش المشهور في حكم المنطقة و ربما كان اول ملك معروف الاسم في العالم [14] و اول سلالة ملكية. ليس ذلك فقط ولكن علاقة الملوك و الاحداث المختلفة التي كانت معروفة ولكن لم تكن تفاصيلها او علاقتها ببعضها واضحة. وضع ذلك "العراقي المجهول الخالد" نفسه في

التاريخ العالمي فقط بكتابته تلك السطور القليلة. ترجمة النص هي كما يلي:

اينميبراكاسي الملك, في نفس هذه المدينة (مدينة نيبور) بنى بيت انليل.
آككا, ابن اينميبراكاسي, جعل تومال متميزة, جلب ننليل الى تومال.
تهدمت تومال لاول مرة, بنى ميساننيبادا بيرشاشوا لبيت انليل.
ميسياكوننا, ابن ميساننيبادا جعل تومال متميزة, جلب ننليل الى تومال[15]

السطر التالي و ما بعده هو السطر الحادي عشر الذي كان معروفاً سابقاً

تهدمت تومال للمرة الثانية, بنى كلكامش النمنبورا لبيت انليل
اورلوكال, ابن كلكامش, جعل تومال متميزة, جلب ننليل الى تومال
تهدمت تومال للمرة الثالثة, بنى نانا 'الحديقة البارزة' لبيت انليل
مسكياج نانا, ابن نانا, جعل تاميل متميزة, جلب ننليل الى تومال
تهدمت تومال للمرة الرابعة, بنى اور- نمو ايكور
سيلجي, ابن اور- نمو, جعل تاميل متميزة, جلب ننليل الى تومال
تهدمت تومال للمرة الخامسة, خلال سنة امار-سن
الى 'السنة التي' آبي- سن, الملك, تم اختيار اينامكالانا كونه 'إن' لاينانا ايريج
تم جلب ننليل الى تومال.
حسب قول لو- اينانا, انليل الاشكب – كال, اشبي – ايرا بنى ايكوريكيكالا, مخزن انليل.

ان ميساننيبادا معروف بكونه اول حكام سلالة اور الاولى. من هذا النص يبدوا بانه استطاع السيطرة على الحكم من آككا ابن اينميبراكاسي آخر حكام سلالة كيش. و ان اول حكام سلالة اور الاولى كانوا قبل كلكامش الذي استولى على حكم لكش من ابن ميساننيبادا.

ان تقدير فعلته و ابرازها بانشاء نصب بروتكولي يتم دفن رفاة عراقي اكتشفت رفاته في موقع نفر التاريخي, يعزز و يرفع قيمة العراق و العراقيين. حيث ان الاحتفال به عراقي صميمي يحمل قيم وحدة العراق خصوصاً و انه من لبة الارض التي هي العراق الان و تاريخه العريق, ويحمل قيمة الكتابة التي كان العراقيون القدماء الرواد فيها و كذلك يحمل معنى البناء و الحفاظ على التراث و القيم, بدون اي عنف او قتل او استعمار و يحتوي رفاة عراقي مجهول يكن له كل العراقيين الاحترام.

---

1 مقالة من كتاب قيد التاليف بعنوان "العراقيون غير المطاقين" اجريت بعض التحوير عليها لتصلح ان تصبح مقالة.
2 مما يثير السخرية ان وضع الزهور لا يتم لرفاة اي جندي عراقي بل يتم على رفاة الفنان خالد الرحال المثّال العراقي, الشخص الوحيد الدي يوجد رفاته في النصب. وان صدام كان يخطط عندما امر ببناء صرح الجندي المجهول الحالي ان يكون وضع الزهور على ضريحه هو بعد مماته, حيث لا يوجد في الصرح اي بقايا لجندي مجهول سوى تراب المعارك.
3 Kramer, Samuel Noah, The Sumerians Their History, Culture, and Character, The University of Chicago Press, 1992
4 Ashurbanibal
5 Tummal inscription
6 Lefrain, Leon, Historical Fragments, the university Museum, Philadelphia, 1922
7 Nippur

8 باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين, دار الشئون الثقافية العامة, بغداد 1986,ج1, ص118-135
9 Kramer, Samuel Noah, The Sumerians Their History, Culture, and Character, The University of Chicago Press, 1971, p47
10 Hilprecht collection of the Friedrich-Schiller University
11 Journal of Cuneiform Studies, Vol. 16, NO.2., 1962
12 En me bar ag ge si
13 ترجمة الاسم: الرئيس الخالد الراعي العظيم.
14 في بداية القرن العشرين كان الاعتقاد بين علماء التاريخ ان تاريخ مصر يمتد الى 5510 ق م و ان ملكهم نارمر هو الاقدم ولكن مع الاكتشافات الحديثة قلص علماء التاريخ مدة تاريخ مصر المكتوب الى 3050 ق م في اقصى الاحتمالات و 2950 ق م في ادناها حيث كانت هناك مبالغة في التواريخ بحوالي 2500 سنة ويوجد احتمال تخفيضها اكثر مع اي اكتشافات اخرى انظر:
Hasel, Michael G., Recent Developments in Near Eastern Chronology and Radiocarbon Dating, Origins, USA, 2004, 56
15 قام الكاتب بترجمة النص الانكليزي المنشور في المصدر 8 اعلاه من الصفحة 48.



شركة تراق
كند
آذار 2012